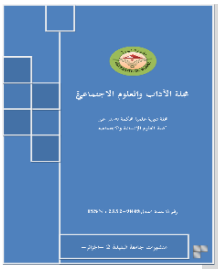

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2352-9849 EISSN: 2602-6929
المجلد 13 العدد/ 01 ديسمبر 2022
ص ص. 25-36.

الممارسات التربوية الأبوية كوسيلة لتطوير القدرات المعرفية للأطفال وزيادة مهاراتهم الاجتماعية

Parental educational practices as a way to develop children's cognitive abilities and increase their social skills

د. إيمان بوكراع
جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، الجزائر

تاريخ الإرسال: 2019/12/15 تاريخ التقييم: 2019/12/20
تاريخ القبول:2021/08/25

الملخص:

بعد ولادة الطّفل، تتكفل الأسرة بعملية التنشئة. فيتعلّم الطّفل على مستواها المهارات اللّغوية وكيفية نطق الكلمات من خلال ما يعلمه إياه أبو اه، ومن ثمّ يبدأ في تعلّم معنى الأشياء ومعنى العبارات، وكلّما كبر في السّن يساعده الأبوان على تعلّم أشياء أكثر تعقيدا. وبالتّالي فلهم المعارف الأوّلية هي تلك الّتي يتلقاها الطّفل في حياته تكون عن طريق الأسرة، وهي الّتي تساعد في نموّه المعرفي. العديد من الباحثين طرحوا العلاقة بين الممارسات التّربوية الأسرية والتّعلم المعرفي خاصّة المهارات اللّغوية. ممارسات الأبوان لها أهمية في اكتساب المهارات والقدرات المعرفية وحتى المهارات الاجتماعية.

ولذلك ومن خلال هذه الورقة العلمية سنحاول التركيز على أهمية الممارسات التربوية الأبوية في تطوير وتنمية القدرات المعرفية للطفل وأيضا كيف يمكنها أن تطور من مهاراته الاجتماعية الّتي تدخل بدورها

Abstract:

After the birth of the child, the family is responsible for the upbringing process. The child learns in the family the language skills and the pronunciation of words through what his parents teach him, and then he begins to learn the meaning of things and the meaning of phrases, and the older he gets, the parents help him to learn more complicated things. Consequently, the most important primary knowledge is that which a child receives in his life is through the family, which helps in his cognitive development. Many researchers have proposed the relationship between family educational practices and cognitive learning, especially linguistic skills. Parenting practices are important for

ضمن نطاق الذّكاء الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الممارسات التربوية، القدرات المعرفية، المهارات الاجتماعية، الأطفال، المكتسبات.

acquiring cognitive skills and even social competences.

Therefore, through this paper, we will focus on the importance of parenting educational practices in developing the child's cognitive abilities as well as how they can develop his social competences, which in turn fall within the scope of social intelligence.

Keywords: Educational practices, cognitive abilities, social competences, children, acquisition.

د. إيمان بوكراع، جامعة جيجل،
boukraaimene@univ-jijel.dz

1- مقدمة:

تعتبر التربية الأسرية من بين المحددات الرئيسية لسلوكيات الأفراد، فالعديد من الدّراسات أكّدت تأثيرها طويل الأمد على الأبناء وعلى سلوكياتهم في مجالات الحياة المختلفة. ويقصد بالتّربية حسب قاموس « Larousse » "كلّ سلوك لتكوين الطّفل أو الرّاشد ". بالنسبة لـ « Sillamy » يعرّفها على أنّها "فن تطوير المزايا المعنوية، الفكرية، الفنيّة والجسمية الّتي يملكها الطّفل وتكون في حالة كمون. التّربية لا تهدف إلى تغيير طبيعة الطّفل، إنّما مساعدته على التّطور بصفة متجانسة مع وسطه. حيث تتطلب معرفة حاجاته، وقوانين النّمو الجسمي والعقلي للفرد " (2003, p. 94). فيرى علماء النّفس حسب ما أورده « Piéron » أنّ التّربية هي "مجموعة وسائل المساعدة الموجّهة لنمو الطّفل" (Gayet, 2006, p. 8). أمّا « Aubert » فقد عرّف التّربية على أنّها "جعل الطّفل يمرّ من مبدأ اللّذة الّذي عرفه في بطن أمّه إلى مبدأ الواقع الخاص بالمجتمع الذّي ولد فيه" (2001, p. 30). بمعنى أنّ التربية هي ما يساعد الفرد على معرفة ذاته وتبني سلوكيات تتماشى مع هو مقبول ضمن السّياق الاجتماعي والثّقافة السّائدة.

التّربية الأسرية تأثّرت في مجملها بالدّراسات والبحوث العلمية في مجال الطّفولة والأبوة والتّربية. عندما بدأ التّحليل النّفسي الخاص بالأطفال يتطور من خلال أعمال بعض الباحثين المشهورين مثل « A. Freud, M. Klein, D. Winnicott, F. Dolto, J. Bowlby » وغيرهم من العلماء، أعطى ذلك العالم نظرة مغايرة للطّفل، حيث أنّ الطّفل بدأ شيئا فشيئا ينتقل من وضعية الشّيء إلى وضعية الشّخص (Aubert, 2001, p. 28).

ومع تعدّد الدّراسات النّفسية خاصّة تلك الّتي اهتمت بالسّلوك الإنساني وكيفية تكوينه ازداد الاهتمام بدور الأسرة والممارسات الاجتماعية والتّربوية الّتي تقوم بها هذه الأخيرة اتجاه الأطفال، ذلك لتأثيرها طويل الأمد على سلوكياتهم. حيث أشار « Durning » إلى أنّ أغلب الاضطرابات الّتي يظهرها الأطفال أو المراهقين (عدم التكيّف في المؤسسات الخاصّة – الجنوح - الاضطرابات النّفسية المرضية والإدمان) ترتبط بعدة طرق بتربيتهم داخل الوسط العائلي، وتبرّر زيادة تطور هذه الاضطرابات(2006, p. 162) . كما أنّ العديد من جوانب الطّفولة تخدم التّحضيرات لسنّ الرّشد (Bjorklund & *al*, 2002, p. 6).

ومصطلح التّربية الأسرية يتمثل بصفة كلاسيكية في "النّشاط الّذي يتركّز على تربية طفل أو مجموعة من الأطفال داخل المجموعات العائلية، من قبل راشد، أو آباء الأطفال المعنيين" (Durning, 2006, p. 45). مفهوم التّربية الأسرية يرتبط بالعديد من المفاهيم كالرّعاية، الاهتمام، الأمومة، الأبوّة والأكل وغيرها حسب أهميتها في كلّ مجتمع وفي كلّ ثقافة.

يطلق على التّربية الأبوية أيضا مصطلح الوالدية « le parenting »، تعرّف حسب « Rutter » "كمهمّة تقوم على تربية طفل، مهمّة تتضمن تزويده بالبيئة الملائمة لنموه المعرفي والاجتماعي. هذه المهمّة تتضمّن أيضا استجابات الآباء لوضعيات كالضّيق، والاحتياجات ووضعيات المقاطعة الّتي يقوم بها الأطفال، أي أنّها تتضمّن بشكل عام العلاقة أب – طفل (Durning, 2010, p. 45).

أمّا الممارسات التّربوية فهي تعبّر عن "مختلف الوسائل الّتي يتبناها الآباء لتربية وتنشئة أطفالهم اجتماعيا" (Hamel, 2001). أي أنّ الممارسات هي كلّ ما ينتج من سلوكيات وتصرفات خلال تفاعل الأب مع الطفل. حسب « Darling & Steinberg » (1993) الممارسات التّربوية هي "عبارة عن سلوكيات محدّدة من خلال أهداف التنشئة الاجتماعية، تكون ذات طابع متحرّر،

حتّى لو أنّ بعضهما تكون بصفة لاإرادية" (Dubeau & *al*, 2008, p. 139). كما تعرّف أيضا على أنّها مجموعة السّلوكيات اللّفظية وغير اللّفظية للأبوين أثناء تفاعلهما مع الطّفل (Terrisse & Larose, 2000, p. 2). تمّ إثبات وجود علاقة بين الممارسات التّربوية للوالدين وبين العديد من السّلوكيات والتّصرفات التّي يقوم بها الأفراد سواء في الصّغر أو حتّى في الرّشد.

و"قد أكّد مختلف الباحثين في مجال التّربية الأسرية أنّ الممارسات التّربوية الأبوية ترتكز على العديد من الأبعاد التّربوية المهمّة نذكر منها: الدّعم (le support)، التّحكم (le contrôle)، الالتزام (l'engagement)، الرّقابة (la supervision)، النّظام (la discipline) وغيرها من الأبعاد التي تختلف أهميتها من باحث إلى آخر. فيرى مثلا « Steinberg » (1989) أنّ الاستقلالية (l'autonomie) الّتي يعطيها الوالدين للطّفل تولّد لدى الطفل فيما بعد العديد من مظاهر الاستقلالية: الاستقلالية الانفعالية (émotionnelle)، الاستقلالية السّلوكية والاستقلالية في قيم" (Born, 2003, p. 94).

2- الإشكالية:

ينشأ الطفل في بداية حياته في كنف أسرته الّتي تتولى مجموعة من الوظائف المهمّة اتجاهه، ولعلّ أهمها وظيفتي الرّعاية والتّربية. لم تعتبر التّربية الأسرية ذات أهمية في القديم بينما تم اعتبلو التّربية في المدرسة أكثر أهمية من ها نظرا لأنّها أكثر تنظيما لتتبعها مناهج وقوانين محدّدة، وأيضا لكونها تتم من قبل شخص أو أشخاص يتمتعون بالكفاءة والإمكانيات اللاّزمة في مجال التّربية. اعتبرت التّربية الأسرية كمساعدة خفيفة لما تقوم به المدرسة. وبعد تطوّر الأبحاث في مجال علم النفس والتّحليل النّفسي، بدأ الاهتمام بالأدوار التربوية الأسرية وتفعيلها بما يضمن نمو سوي للطفل، ووقايته من العديد من المشاكل النفسية والسّلوكية.

العديد من الباحثين أكّدوا أنّ للأسرة دور فعّال جدّا في التّأثير على الطّفل ليس فقط على سلوكياته بل حتّى على نجاحه/فشله الدّراسي وعلى نموه المعرفي بصفة عامّة ، والفروق الفردية الموجودة بين الأطفال في سن واحدة هي اختلافات ترجع إلى طبيعة القدرات العقلية والمعرفية الموجودة عند كلّ طفل واختلافها من طفل إلى آخر، كما قد ترجع إلى السياق الأسري والاجتماعي للطّفل، بحيث أنّ الآباء يمكن أن يساعدوا أبناءهم إلى زيادة مكتسباتهم المعرفية وتطوير طرق التفكير لديهم من خلال مجموعة من الممارسات التربوية المختلفة الّتي تساعد الأطفال على تطوير طرق التّفكير والإبداع الفكري وأيضا تعزيز رصيدهم المعرفي، لكن كيف يمكن للممارسات التربوية الأسرية أن تؤثّر على النمو المعرفي للطفل وعلى زيادة مكتسباته المعرفية والاجتماعية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال مجموعة من المعلومات النّظرية.

3- الممارسات التربوية والقدرات المعرفية:

في بداية نشأة الطّفل تكون الأسرة هي المكان الأوّل الّذي يتلقّى فيه المعرفة. فيتعلّم الطّفل على مستواها المهارات اللّغوية وكيفية نطق الكلمات من خلال ما يعلمه إياه أبويه، ومن ثمّ يبدأ في تعلّم معنى الأشياء ومعنى العبارات الّتي ينطقها، وكلّما كبر في السّن يساعده أبويه على تعلّم أشياء أكثر تعقيدا. إذا فالمعارف الأوّلية المهمّة الّتي يتلقاها الطّفل في حياته تكون عن طريق الأسرة، وهي من تقدم أولى المكتسبات . العديد من الباحثين أظهروا العلاقة بين الممارسات التّربوية

الأسرية والتّعلم المعرفي (مدرسي كان أو لا)، خاصّة المهارات اللّغوية (Prèteur & Sublet, 1995, p. 182). فوجود الكتب والمطالعة اليومية ووجود حاسوب واستعماله من قبل الأبوين يحفّز النّجاح دون إعادة للطّفل، وبذلك لممارسات الأسرة الثّقافية دور في النّجاح أو الفشل الدّراسي (Feyfant, 2011, p. 4). بالطبع الحالة البيولوجية والفيزيولوجية للطفل لها دور مهم جدّا في تحديد سرعة النمو المعرفي ومستوياته، خاصة العامل الوراثي. فالطّفل عندما يتلقى معلومة لا يقوم باستدخالها مباشرة لكن يتم تحليلها معرفيا ومن ثمّ استدخالها ومعالجتها وتوظيفها في المواقف المناسبة. كما انّ التطور المعرفي جيّد يرتبط بطبيعة المعلومة المقدّمة للطّفل وكيفية تقديمها وجودتها، وهنا يلعب الأبوان دورا محوريا وهاما، خاصّة في بداية حياة الطّفل وفي مرحلة ما قبل الدّراسة.

"العلاقات الأسرية والأبوة والأمومة أظهرت روابط مستمرة مع تطور التحكم السلوكي للأطفال، ومع تنظيم الانتباه والأنظمة الانفعالية وأنظمة الاستثارة طوال فترة الطفولة. إضافة إلى ذلك، يساهم الآباء في النمو المعرفي للأطفال، تنشئتهم اجتماعيا ضمن أنماط سلوكية مناسبة ثقافيا، تعزّز استيعابهم للقيم الأخلاقية وتنمية مواهبهم، وتحديد وتأمين وصولهم إلى الموارد الرئيسية خارج نظام الأسرة" (Maughan, 2011, p. 3). تطور تفكير الطّفل وزيادة مكتسباته قد تكون بداية ذات الطابع الاجتماعي على وجه الخصوص، فاللّغة المكتسبة تكون ضرورية خاصّة للتّفاعل مع الآخرين. كما يتعلّم الطّفل مجموعة من السّلوكيات من خلال الملاحظة والتّعزيز، وهذا ما تؤكّده النّظريات السّلوكية وأهمها نظرية التّعلّم الاجتماعي.

يقوم الأبوان بتعليم الطّفل مجموعة من المصطلحات والعبارات الّتي يقوم بتوظيفها أثناء تفاعله مع الآخرين. لكن إذا اقتصرت هذه المصطلحات على كلّ ما هو سهل، فإن معارف الطّفل ستبقى بسيطة ومتوسطة المستوى، بينما إذا قدّم الأبوان مصطلحات معقّدة إلى الطفل أو ذات مستويات أعلى، فإنّ هذا الأخير سيحاول تحليلها معرفيا ما يساعده على تطوير القدرة على التحليل وإدراك المفاهيم المعقدة. كما أنّ الأبوين من خلال تدريبهما للطّفل على نشاطات سلوكية ومعرفية ذلك يساعده على تطوير قدراته بشكل أفضل بالمقارنة الأقران، مثلا إذا قام الوالدين بتدريب الطّفل على التّركيز حول محتوى قصّة ما أو فيلم أو غير ذلك وشرح ما سمعه أو شاهده، هنا يتدرّب الطّفل على التّركيز حول شيء محدّد وأيضا محاولة فهم واستيعاب واستدخال المضمون وإعادة صياغته بمفهومه ولغته الخاصة. في هذه الحالة الطّفل يتدرّب على التّركيز، الحفظ في الّذاكرة، الفهم والتحليل، التعبير بلغته وطريقته الخاصة، ويمكن للوالدين أن يوجها الطّفل ببعض المفاهيم الجديدة وبعض القيم الجديدة الواجب اكتسابها.

فتدريب الطّفل يساعده على تطوير قدراته ومهارته، وهنا يظهر مجهود الوالدين. علماء النّفس اهتموا بدور الممارسات التّربوية العائلية في اكتساب اللّغة اللّفظية أو المكتوبة لدى الطّفل وأيضا علاقتها بالنّجاح الدّراسي. فقاموا بالتركيز على مكتسبات الطّفل خاصّة في سن ما قبل الدّراسة بين ثلاثة إلى خمسة سنوات، من خلال ما يقوم به الآباء من قراءات للقصص لهؤلاء الأطفال، وما يقومون به من نشاطات يمكن أن تساعد أبناءهم على اكتساب اللّغة. كما اهتموا أيضا بدراسة العلاقة بين الممارسات التّربوية العائلية وكلّ من الذّكاء (Q.I) والنّمو المعرفي للطّفل.

في هذا الإطار قام « Lautrey » بدراسة الأنماط التّربوية الأسرية الّتي من شأنها أن تحفّز نمو معرفي جيّد للطّفل، وبالتّالي تحسين نتائجه الدّراسية التي تظهر من خلال النّجاح. حيث حدّد ثلاثة أنماط تربوية والّتي تختلف بين "صلبة، ضعيفة ومرنة". وقد وجد أنّ النّمط التّربوي المرن (الدّيمقراطي) كأحسن نمط لنمو معرفي جيّد.

➢ تشكيلة الممارسات التّربوية الأبوية حسب Lautrey:

هدف « J. Lautrey » في دراسته إلى التّعرّف على العلاقة الموجودة بين النّمو المعرفي عند الطّفل وبين أصلهم الاجتماعي أي الطّبقات الاجتماعية الّتي ينتمون إليها، حيث اهتم بما يمكن أن يكون الوسط مناسب أو غير مناسب لنموهم. و انطلق من مبدأ أنّ النّظام الأسري يختلف بين الطّبقات الاجتماعية للأفراد، أي أنّ الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للأسر تؤثّر على ممارساتها اتجاه الأطفال. فالممارسات الأبوية والاجتماعية الموجودة في الطّبقات الشّعبية الفقيرة قد تختلف عن تلك الموجودة في الطّبقات الغنية، كما أنّ المستوى التّعليمي والثّقافي يختلف بين الطّبقات الاجتماعية. مثلا الآباء الفقراء والّذين يشعرون بالضّغط والإحباط من ضعف حالتهم الاقتصادية يمكن أن يؤثّر ذلك على ممارساتهم التّربوية، وغيرها من الوضعيات التّي تؤثّر على العلاقة أب – طفل. لذلك قام « Lautrey » (1980) بوضع افتراض أنّ شروط الحياة والعمل المرتبطة بالوضعية الاجتماعية والاقتصادية للوالدين هي الّتي تحدّد نوعا ما ممارساتهم التّربوية التي تؤثّر بدورها على النّمو المعرفي للأطفال.

بالنّسبة للنّمو المعرفي، فإنّ « Lautrey » انطلق من نظرية « Piaget » التّي ترتكز على أنّ النّمو المعرفي ينتج بناء على ما يقوم به الفرد انطلاقا من نشاطه في وسط معين، كما أنّه يرتكز على عنصرين هامين هما الاستيعاب والتّحكم. فمن خلال هذه النّظرية تمكّن « Lautrey » من استنتاج مميزات الوسط الّذي يكون مناسب أو غير مناسب لهذا النمو (Vouillot, 1986, p. 354).

ما قام به « Laurtey » هو وضع هذين العنصرين – الاستيعاب والتّحكّم – في بيئة عائلية، وربطهما بالممارسات التّربوية للأبوين. من خلال وجود أو غياب هذين العنصرين قام بتحديد ثلاثة أنماط الممارسات التربوية (Cuisinier, 1996, p. 363):

- بيئة عشوائية أو ضعيفة التّنظيم تعرّف بغياب التّنظيم، أي غياب القواعد الخاصّة بسلوك الطّفل. هذا النّوع يعطي الكثير من الحرية للطّفل.
- بيئة لينة حيث يوجد نظام وقواعد خاصّة بالأطفال لكنّها تتغيّر حسب الأحداث، أي أنّه يحدث على مستواها الكثير من الاستثناءات.
- بيئة قاسية تتميّز أساسا بوجود أنظمة محدّدة. فالأبوين يقومان بوضع القواعد مرّة واحدة أي لا يمكن تغييرها حتّى في وجود ظروف مختلفة.

في دراسته وجد أنّ المهارات المعرفية الجيّدة تكون مصاحبة بأسلوب تربوي أبوي *لين* (souple)، الّذي يكون بطبيعة الحال مصاحب بنجاح دراسي للطّفل. هذا الأسلوب التّربوي للأبوين يكون خاصّة في الأوساط الاجتماعية الاقتصادية الجيّدة أو بمعنى آخر الأوساط الغنية. حسب « Laurtey » النّمط التّربوي الأكثر ملائمة للنّمو المعرفي يكون مرتبط بالبيئة المنظمة بشكل لين(Oubrayrie & Lescarret, 1997, pp. 9-10)، وهو ما يقابل في الأنماط التّربوية الأبوية حسب « Baumrind » النّمط التّربوي *الدّيمقراطي*.

4- الممارسات التربوية والمهارات الاجتماعية:

عندما يكون لدى الأفراد خاصّة الأطفال مشاكل سلوكية يشار إلى إمكانية عدم اكتسابهم للمهارات الاجتماعية الأساسية. هذه المهارات هي الّتي تمكّن الفرد من الاندماج في المجتمع الّذي ينتمي إليه من خلال احترام مبادئه ومعاييره. "اكتساب المهارة الاجتماعية يلعب دور كبير في العديد من مجالات الحياة: في مجال النّظافة والصّحة ومدى تمكّن الفرد من الاعتناء بنفسه، تسيير الدّخل والقدرة على التنظيم الاقتصادي، تسيير تكوينه وتمدرسه، تسيير عمله والتّحكّم في وقته، تسيير حياته العائلية وعلاقاته بأفراد أسرته، تسيير محلّ إقامته وتسيير نشاطاته ووسائل ترفيهه" (Dutrénit, 1977, p. 181). أي أنّ المهارة الاجتماعية تساعد الفرد على تسيير متطلبات حياته وتساعد على العيش والتّكيف مع محيطه.

تعرّف المهارة على أنّها "القدرة على توليد استجابات للمتطلبات وتنسيقها المرن والمتكيّف، بالإضافة إلى إيجاد واستغلال الفرص المتاحة في المحيط" (Waters & Sroufe, 1983)، إذا المهارة تمكّن الفرد من الاستجابة المتكيّفة لما يتطلّبه المحيط، واغتنام الفرص المتاحة أمامه من خلال اختياره للاستجابة الملائمة من بين مجموعة من الاختيارات. تظهر المهارة الاجتماعية في كيفية تلبية الطّفل لحاجياته وفي كيفية تفاعله مع الأقران ومع الرّاشدين وطبيعة العلاقات الّتي ينشؤها مع الآخرين. حيث أنّ الطّفل الّذي اكتسب المهارة الاجتماعية تتميّز علاقاته بالآخرين بالإيجابية وتكون ملائمة ومناسبة.

"لاحظ « Hartup » أنّ العلاقات مع الأقران تساهم وبشكل كبير في النّمو الاجتماعي والمعرفي وتمكّن من الوصول إلى الفعالية الّتي تظهر في سنّ الرّشد. كما أنّه صرّح أنّ أفضل مؤشّر للتّكيف من أجل أن يكون الفرد راشدا ليس المستوى الدّراسي ولا السّلوك في الصّف، ولكن كيف يتصّرف الطّفل بطريقة مناسبة مع الآخرين. الأطفال الّذين يكونون عموما غير محبوبين، عدوانيين أو مضطربين، لا يتمكّنون من إقامة علاقات جيّدة مع أطفال آخرين ولم يتمكّنوا من أخذ مكانتهم بين الأقران، يكونون في تهديد جدّي. المخاطر تكون كبيرة: صحة عقلية هشّة، التّخلي عن المدرسة، نتائج ضعيفة ومشاكل مدرسية أخرى وصعوبات في العمل" (McClellan & Katz, 2001).

تعرّف المهارة الاجتماعية عموما على أنّها "القدرة على تحقيق الأهداف الشّخصية من التفاعلات الاجتماعية، في نفس الوقت امتلاك علاقات اجتماعية إيجابية مع الآخرين ذلك مع مرور الوقت ومهما كانت الظّروف" (Rubin & Burgess, 2002, p. 386) . إذن المهارة الاجتماعية تساعد الفرد على إقامة علاقات جيّدة (إيجابية) مع الآخرين وبالتّالي الاندماج في المجتمع الّذي ينتمي إليه من خلال بناء علاقات صحية. كما أنّ لها تأثير على المدى القصير والمدى البعيد لحياة الفرد وهي تظهر من خلال العديد من السّلوكيات.

ارتبطت المهارة الاجتماعية بالنّمو النّفسي الاجتماعي للطّفل، حيث قد يشار إليها أيضا بـ **"الذّكاء الاجتماعي"**. فالطّفل الّذي اكتسب المهارة الاجتماعية يكون قادرا على الاندماج بين أقرانه، كما أنّه يكون قادر ا على تلبية احتياجاته والتّصرّف بإيجابية في مواقف اجتماعية محدّدة. كما قد يشار أيضا إلى المهارة بالفعالية (الفعالية في الحياة الاجتماعية).

من الباحثين الّذين درسوا المهارة الاجتماعية نجد « Hess » الّذي أشار إلى أنّ المهارة تتكوّن من مجموعتين من السّلوكيات (Oléron, et al., 1981, p. 29):

- ✓ تلك الّتي تتعلّق بالعلاقات الّتي تكون بين الأفراد أو بين المجموعات الصّغيرة، إنّها سلوكيات متعلّقة بالأشخاص.

- ✓ تلك المتعلّقة بالأنظمة، أي بالمؤسّسات والأنظمة الاجتماعية السّياسية.

وجدت الدّراسات أنّ الطّفل الّذي يكون ودود، متعاون، يحب الآخرين، ناجح، وسلوك ه مقبول اجتماعيا مع مرور الوقت يعتبر ماهر اجتماعيا. المهارة السّلوكية الاجتماعية في الطّفولة تؤدّي إلى تقبّل الأقران ونجاح المراهق والرّاشد. من جهة أخرى إذا ظهر الطّفل غير ودود، أناني، سلوك عدائي حتّى ولو كان موجّه إلى عدد قليل من الأفراد، فتعتبر هذه السّلوكيات غير مقبولة ويعتبر الطّفل غير ماهر اجتماعيا (Rubin & Burgess, 2002, p. 386).

كما أنّ "الدراسات الحديثة أيضا أشارت إلى أنّ التّكيّف الاجتماعي والعاطفي طويل المدى للطّفل، وكذلك النّمو الأكاديمي والمعرفي وسلوك المواطنة تدعّم من خلال المناسبات المتكرّرة لتعزيز المهارة الاجتماعية في مرحلة الطّفولة" (McClellan & Katz, 2001). يمكن القول إذا أنّ المهارة الاجتماعية ضرورية للنّمو النفسي الاجتماعي للطّفل، لكن كيف يتمكّن الطّفل من اكتساب هذه المهارة؟

ينطلق اكتساب وتعلّم المهارة الاجتماعية مبكّرا جدّا أي منذ الطّفولة، "لأنّ النّمو الاجتماعي ينطلق منذ الولادة ويتزايد بسرعة في سنوات ما قبل الدّراسة" (McClellan & Katz, 2001). وبذلك فإنّ مرحلة الطّفولة هي مرحلة مهمّة جدّا في النّمو الاجتماعي للطّفل خاصّة الطّفولة المبكرة.

يلعب الأبوين دور أساسي ومهم في اكتساب الطّفل للمهارة الاجتماعية، مدى اكتساب الطّفل لهذه المهارة يكون مرتبط بالمهارات التّربوية للأبوين. "خلال العشرون سنة ماضية، مجموعة من البراهين المقنعة جمّعت للإشارة إلى أنّه إذا لم يكتسب الطّفل قبل سنّ 6 سنوات المهارة الاجتماعية الأساسية فإنّه من المحتمل بشدّة أنّ يواجه صعوبات بأشكال مختلفة في سنّ الرّشد" (McClellan & Katz, 2001).

"فحسب « Hartup » (1985)، الأبوان يقدّمان على الأقل ثلاث وظائف لنمو المهارة الاجتماعية للطّفل. أوّلا التّفاعل أبوين – طفل هو السّياق الّذي تتطوّر فيه العديد من المهارات الضّرورية للتّفاعل الاجتماعي. هذا التّفاعل يجعل الطّفل يكتسب العديد من المهارات الّتي تساعده على المبادرة وإقامة علاقات إيجابية مع الآخرين، مثل المهارات اللّغوية، القدرة على التّحكّم في النّزوات. ثانيا العلاقة أبوين – طفل تشكّل مصدر عاطفي ومعرفي، الّذي يسمح للطّفل باستكشاف البيئة الاجتماعية وغير الاجتماعية. بل إنّه من الآمن إعطاء الطّفل الحرية ليتمكّن من معاينة العالم الاجتماعي، من أجل تعزيز تطور المهارات الخاصّة عن طريق مشكل – حل. ثالثا العلاقة أبوين – طفل المبكّرة تساعد الطّفل على فهم العلاقات خارج الإطار الأسري. فمن خلال هذه العلاقة يبدأ الطّفل في تطوير التّوقعات والافتراضات حول العلاقات الّتي قد ينشؤها مع الآخرين ويطوّر استراتيجيات لتحقيق أهداف شخصية واجتماعية" (Rubin & Burgess, 2002, p. 386).

العديد من النّظريات أشارت إلى العلاقة بين طبيعة العلاقة أبوين – طفل وبين النّمو الاجتماعي لهذا الأخير أي مدى اكتسابه للسّلوكيات الاجتماعية المتكيّفة وغير المتكيّفة. "تقريبا كلّ النّظريات النّفسية الّتي تتعامل مع النّمو الانفعالي والاجتماعي للطّفل بصفة عامّة، وبصفة خاصّة تلك المتعلّقة بنمو المهارة والسّلوكيات المتكيّفة أو بالمقابل السّلوكيات غير المتكيّفة وغياب المهارة (العدوانية مثلا والسّلوك الانسحابي)، تضع المسؤولية الأولية على العوامل والسّلوكيات الأبوية خاصّة نوعية العلاقة أبوين – طفل" (Rubin & Burgess, 2002, p. 388). حيث أنّ أعمال

« Baumrind » أظهرت أنّ المستويات العالية من المهارة عند الأطفال ترتبط بالنّمط الأبوي الدّيمقراطي (Teti & Candelaria, 2002, p. 157).

تعتبر نظرية التّعلّم الاجتماعي لـ « Bandura » من بين النّظريات الّتي تفسّر كيفية اكتساب السّلوكيات الاجتماعية، وهي تقوم على أساس ما جاء به التيّار السّلوكي مع اختلاف في كون أنّ هذه النّظرية تهتم بالجوانب المعرفية للتّعلّم المحقّق من قبل الأفراد في سياق اجتماعي. كما أنّ هذا النّموذج يأخذ بعين الاعتبار قدرة الأفراد على تقديم أنفسهم، على معالجة وعلى فهم المعلومة المتحصّل عليها في وضعيات اجتماعية. حسب المقاربة الاجتماعية – المعرفية، الطّفل يقوم بترميز المؤثّرات الاجتماعية الّتي يصادفها أثناء تفاعلاته مع الآخرين ويقوم باستعمالها كتصوّرات (Leblanc & Desbiens, 2008).

حاول « Bandura » وصف صيرورة النّمو الّتي تنتج عن وضعيات التّعلّم، من بينها نجد الملاحظة. حيث أنّ الطّفل يتعلّم "استجابات جديدة" ببساطة من خلال ملاحظة كيف يقوم الأشخاص في محيطه (النّماذج) بالتّصرّف. يقوم الطّفل بأخذ تلك الملاحظة بعين الاعتبار وبتخزينها ذهنيا، يقوم هذا الطّفل باستعمال التّصوّرات الذّهنية من أجل إعادة إنتاج السّلوكيات التي قامت بها النّماذج (من خلال التّقليد). أي أنّ الطّفل يمكن أن يسترجع المعلومات المخزّنة ذهنيا ويقوم بتنفيذها وإنتاج نفس السّلوكيات الّتي قامت بها النّماذج خاصة من الرّاشدين (Dubeau & *al*, 2008, p. 135). كما يؤكّد « Bandura » على أنّ الأنماط الجديدة من السّلوك يمكن أن تكتسب من خلال ملاحظة سلوكيات الآخرين ومن النّتائج المترتبة عليها حتّى في غياب التّعزيز الخارجي، هو التّعلّم بالملاحظة أو التّعلّم بالنّذمجة – تقليد النّموذج أو الاقتداء بالنّموذج - أكثر من التّعزيز المباشر (زيادة، 2007، ص. 31).

في كلّ مرّة يوجد بها مثير جديد، يقوم الطّفل بمعالجة المعلومات المتحصّل عليها الّتي تؤدّي به مستقبلا إلى استجابة سلوكية الّتي تكون مرتبطة بالمعلومات الّتي قام الفرد بترميزها واستدخالها حول الموضوع من قبل. كما أنّ نماذج الانفعالات الّتي يعيشها الطّفل بصفة متكرّرة على مرّ الزّمن تؤدّي إلى تطوّر ميولات اجتماعية – معرفية خاصّة. حسب « Dodge » (1993) إنّ التّجارب الّتي يعيشها الطّفل داخل الأسرة والقدرات ذات الطّبيعة البيولوجية (الذّاكرة والوظيفة العصبية) تساهم وتؤدّي إلى تطوّر المعارف والانفعالات الّتي يكوّنها الطّفل عنه وعن الآخرين. أي أنّ هذه المعارف هي عبارة عن ذكريات حصلت في الماضي، توقعات تخصّ الأحداث المستقبلية والتّفاعلات، وحتّى تقييمات لذاته وللآخرين. كلّ ذلك يساعد على إرشاد و تنظيم الطّريقة الّتي تعالَج بها المعلومات الاجتماعية. الصّيرورة الّتي تعالج بها المعلومات هي الميكانيزم الّذي يرشد السّلوكيات الاجتماعية.

هذه النّظرية تقترح أنّ الطّفل ينشأ اجتماعيا من خلال ملاحظة وتقليد السّلوكيات وردود الفعل – المرغوبة وغير المرغوبة – من النّماذج الّتي تحيط به مثل الأبوين، المربّين، الإخوة والأصدقاء. الأبوان يلعبان دور مهم في هذه الصّيرورة لأنّهم في وضعية جيّدة من أجل صياغة وتعديل التّصرفات الاجتماعية لطفلهم. كما أنّ للطّفل في عملية التّعلّم دور مهم وفعّال، ذلك من خلال مدى انتباهه لما يدور حوله وإعادة إنتاجه للسّلوكيات الّتي قام بملاحظتها في الوقت والفرصة المناسبين.

حسب « Maccoby » (2007) العديد من الأبحاث الّتي خصّت الأبوين والمربيين استندت إلى هذه النّظرية من أجل شرح تأثير دور الرّاشدين على اكتساب المهارات الاجتماعية والانفعالية للأطفال. كما أنّ الأبحاث أثبتت أنّ المعلومة الاجتماعية الملاحظة والمترجمة من قبل

الطّفل تكون خاصّة مفيدة من أجل إرشاده في تكيّفه في وسطه. بعض الباحثين لاحظوا أنّ الأطفال الصّغار يتعلّمون بصفة مبكّرة جدّا على استعمال والديهم كمصدر مرجعي لإعطاء معنى للوضعيات الجديدة أو غير المتوقّعة التّي يوجدون بها، على هذا الأساس يقومون بتوجيه سلوكياتهم هذا ما يسمّى *بالمرجعية الاجتماعية* (Dubeau & *al*, 2008, p. 135).

بمعنى آخر كلّ ما يقوم به الوالدان من ممارسات تساهم بشكل أو بآخر في صقل النموذج الاجتماعي للطفل وتطوير مهاراته السّلوكية، بحيث التّعلّم المباشر من خلال كلّ ما يلقنه الأبوان أو من خلال ما يلاحظ ويكتسب أثناء العلاقة أب – طفل من شأنّه تطوير المهارات الاجتماعية للطّفل وتهيئته للمواقف والخبرات الاجتماعية. المهارة الاجتماعية لا تقتصر على التّفاعلات الاجتماعية في مواقف محدّدة فقط بل ترتبط أيضا بالقيم ومدى استدخالها من قبل الطّفل والّتي تعزّز نموه الاجتماعي والأخلاقي.

5- المناقشة:

من خلال ما تقدّم يمكن التأكيد على أنّ الممارسات التربوية الّتي يقوم بها الأبوين اتجاه الطّفل لها أهمية كبيرة ودور فعال جدّا في تطوير القدرات المعرفية للطّفل من خلال تعزيز معلوماته – خاصّة الأولية منها – وتطوير معارفه عن طريق كلّ المعلومات المقدّمة من الأولياء. بطبيعة الحال طبيعة المعلومة المقدمة ونوعيتها هي ما تساهم في النّمو المعرفي الجيّد للطّفل. فالطّفل يبدأ بالتّعرّف على العالم الخارجي من خلال والدية – الأم بالدّرجة الأولى – ومن خلال تفاعله معهما. فيتعلّم منهما ماهية الأشياء، استعمالاتها ومفاهيمها، وتتعزّز لديه اللّغة، فهي انعكاس لما اكتسبه الطّفل. مساهمة الأبوين المعرفية تكون من خلال طريقة شرح وإيصال المعلومة المقدمة للطّفل، وأيضا من خلال مستوى المعلومة. فالأطفال الّذين يقدّم لهم آباءهم معلومات علمية (كالحساب مثلا) تتطور لديهم أنماط تفكير مجرّدة وأعلى مستوى من أولئك الّذين لا يحاول آباءهم أن يقدّموا لهم معلومات جديدة سوى تلك المتعلّقة بالروتين اليومي فقط (كطريقة الأكل واللّباس).

تطوير آليات التّفكير وطرقه ورفع مستويات المعلومات المقدّمة هو ما يحدث الفروق الفردية بين مستويات النمو المعرفي بين الأفراد، بشكل آخر البيئة الّتي ينحدر منها الطّفل لها تأثير بالغ على مكتسباته المعرفية. فإذا تعلّم الطفل في سنّ مبكرة الرسم والكتابة تتطور لديه القدرات الإبداعية والتّحكم الحركي. كما أنّ المصطلحات المتداولة من قبل الوالدين هي ما يساعد الطّفل على تطوير رصيده اللّغوي وبالتّالي الفهم الجّيد عند دخوله للمدرسة والتفوق على الآخرين.

بعض اختبارات الذّكاء ترتبط بالأشكال والألوان والقدرة على التنسيق والفهم والاستيعاب وإيجاد الحلول، كلّ هذه القدرات يمكن تطورها من خلال من يقدّم من قبل الوالدين ومن خلال المعلومات الّتي يتيحانها للطّفل. فإذا كان هذا الأخير تلقى كلّ كبير من المعلومات وقام باستدخالها ومعالجتها معرفيا في سنّ مبكّرة فإنّه سيظهر نموا معرفيا متقدّما بالمقارنة مع أقرانه، ويظهر تحصيلا دراسيا جيّدا.

المكتسبات الاجتماعية أيضا تنطلق من الأسرة وما يقوم به الأبوان خلال تربيتهما للطّفل، اكتساب المهارات الاجتماعية والقيم الأخلاقية يكون من خلال ما يلقنه الآباء للأبناء. كون الطّفل ينمو اجتماعيا وأخلاقيا بشكل جيّد يعتبر أنّه ذكيّ اجتماعيا وأصبح أكثر فعالية ضمن مجتمعه. خاصّة وأنّ اكتساب السلوكيات الاجتماعية المقبولة لا يكون من خلال مثير استجابة لكن من خلال الاكتساب المعرفي واستدخال المعلومة بعد تحليلها وتصنيفها.

عمل الأسرة على جعل الطّفل فرد اجتماعي يعتبر من بين وظائفها الرئيسية والّتي تؤكّد على نجاها في مهمتها الأساسية. اكتساب الطّفل للسّلوكيات الاجتماعية المقبولة يعتبر أساسيا لتصنيف الطّفل كشخص سوي ضمن مجتمعه. بينما اكتساب الطّفل للمهارة الاجتماعية يجعل منه شخص يملك مفاتيح النجاح الاجتماعي، فالقدرة على قراءة الآخرين وحالتهم النفسية وعلى التعامل مع كلّ فرد بالطّريقة المناسبة لشخصيته يعتبر من المهارات الّتي تساعد للوصول إلى الغايات المرجوة وتحقيق الأهداف. فالنّجاح الاجتماعي أو المهني أو حتى السّياسي يتطلب أن يكون الفرد ذكيا اجتماعيا وقادرا على إيصال المعلومة إلى الجميع والتّعامل مع الأفراد بطرق تناسب سماتهم الشّخصية والسّلوكية.

في الأخير يمكننا التأكيد على أنّ التّطور المعرفي واكتساب المهارة الاجتماعية للطفل في سن مبكرة يكون من خلال ما يقدّمه الوالدان، فطبيعة الممارسات التربوية الأبوية تلعب دور أساسي ومحوي في مكتسبات الطفل وتطورها. ولذلك على الأبوين أن يهتما بشكل جيّد بنوعية المعلومات المقدمة للطّفل واللّغة المستعملة مع الطّفل وكيفية شرحها وإيصالها بطريقة تجعل من استدخالها واستيعابها سهل، واستعمالها من قبل الطّفل في مواقف مناسبة يكون أيضا بطريقة سهلة. ولذلك على الوالدين أن يقوما بدورهما التربوي بشكل جيّد بغرض تطوير معارف الطّفل وقدراته، وذلك ما يساهم في تحسين المجتمع وتطوره من خلال تحضي أجيال ذكية متمكنة اجتماعيا ومعرفيا. ويمكن إنشاء مراكز لتدريب الأزواج على الأبوة ضمان قيامهم بدورهم الأساسي اتجاه أطفالهم وتعلمهم لطرق الرّعاية والتربية الجيّدة.

قائمة المراجع:

1. أحمد رشيد عبد الرحيم زيادة ، العنف المدرسي: بين النّظرية والتّطبيق ، عمان، مؤسسة الوراق، 2007.
2. Aubert, J.-L, La violence dans les écoles, Paris, Odile Jacob, 2001.
3. Born, M, Psychologie de la délinquance, Bruxelles, De Boeck, 2003.
4. Cuisinier, F, « Pratiques éducatives, comportements éducatifs : quelles différences, quelles similitudes ? » Enfance , *49* (3), 1996.
5. Dubeau, D., Coutu, S., & Tremblay, J-P, Roles Maternel et paternel. Dans C. Parent, S. Drapeau, M. Brousseau, & E. Pouliot, Visages multiples de la parentalité (pp. 33 - 62), Québec, P.U.Q, 2008.
6. Durning, P, Eduction Familiale. Paris, L'Harmattan, 2006.
7. Dutrénit, J. –M, « Évaluation de la compétence sociale de l'usager Chaînon manquant entre marginalité et intégration », Les Cahiers de l'Actif, 1977.
8. Feyfant, A, « Les effets de l’éducation familiale sur la réussite scolaire ». Veille et analyses (63), 2011.
9. Lautrey, J, Classe sociale, milieu familial et intelligence, Paris, Puf, 1980.

10. Maughan, B, Family and Systemic Influences. In D. Skuse, H. Bruce, L. Dowdney, & D. Mrazek, Child Psychology and Psychiatry (pp. 3 - 7). Oxford, Wiley-Blackwell, 2011.
11. McClellan, D., & Katz, L, Évaluation de la compétence sociale des jeunes enfants, 2001.
12. Oléron, P., Beaudichon, J., Cartron, A., Danset-Léger, J., Melot, A. - M., Nguyen-Xuan, A., et al, Savoirs et savoir-faire psychologiques chez l'enfants, Bruxelles, Pierre Mardaga, 1981.
13. Oubrayrie, N., & Lescarret, O, « Pratiques éducatives, estime de soi et compétences cognitives », Revue de Recherches en Éducation, (20), 1997.
14. Prèteur, Y., & Sublet, F, Conceptions et pratiques éducatives familiales, image de soi et acquisition de l'écrit. Dans Y. Prèteur, & M. De Léonardis, Education familiale, image de soi et compétences sociales (pp. 181-201), Paris, Puf, 1995.
15. Rubin, K. H., & Burgess, K. B, Parents of Aggressive and Withdrawn Children. In M. H. Bornstein, Handbook of Parenting Volume 1 : Children and Parenting (pp. 383 - 417), New Jersey, Lawrence Erlbaum Associates, 2002.
16. Sillamy, N, Dictionnaire de Psychologie. Québec: Larousse .
17. Teti, D. M., & Candelaria, M. A, Parenting Competence. In M. H. Bornstein, Handbook of Parenting vol 4: Social Conditions and Applied Parenting (pp. 149-179), New Jersey, Lawrence Erlbaum Associates, 2002.
18. Wallet, J. –W, « Styles éducatifs familiaux et adolescents en Algérie et en France », Enfance , *47* (1), 1994.
19. Waters, E., & Sroufe, A. L. "Social competence as a developmental construct", Developmental Review, *3*, 1983